تقرير الفعالية

تحديات الانتقال في الصومال: المنظور التاريخي والانعكاسات المستقبلية

الدوحة، قطر

23 مايو/أيار 2022

مركز دراسات النزاع والعمل الانساني
Center for Conflict and Humanitarian Studies

مركز دراسات النزاع والعمل الإنساني
Center for Conflict and Humanitarian Studies

1.0. موجز

استضاف مركز دراسات النزاع والعمل الإنساني في الدوحة في 15 أيار/ مايو محاضرة بعنوان "تحديات الانتقال في الصومال: المنظور التاريخي والانعكاسات المستقبلية"، ألقاها الدكتور عبد الولي محمد علي غاس، رئيس وزراء الصومال سابقًا؛ وأدار خلالها محاور النقاش الدكتور غسان الكحلوت، مدير مركز دراسات النزاع والعمل الإنساني ورئيس برنامج إدارة النزاع والعمل الإنساني في معهد الدوحة للدراسات العليا.

قدمت المحاضرة لمحة عامة عن المحطات الأساسية لتاريخ الصومال الحديث والتحديات المعاصرة التي تواجهها البلاد في تحقيق السلام. وشهد الحدث حضورًا متنوعًا من الدبلوماسيين والباحثين العرب والأجانب وطلاب الماجستير ونخبة من أعضاء الشتات الصومالي.

تأتي هذه المحاضرة ضمن سياق التزام مركز دراسات النزاع والعمل الإنساني بتعزيز الحوار ودراسة دوافع ومحفزات الصراع بأسلوب نقدي، إلى جانب سعيه لإيجاد حلول للوقاية من الصراعات ووقفها وإعادة الإعمار الوطني. كما يسعى المركز إلى البحث والاستكشاف في سياقات ما بعد الصراع والدوافع الكامنة وراء هشاشة الدولة التي تؤدي إلى العنف.

بدأت الأمسية بكلمة افتتاحية من الدكتور غسان الكحلوت قدم فيها موضوع المحاضرة وضيفها المميز. حيث تضمنت لمحة عن تاريخ الصومال وخلفية النزاع في المنطقة، فقد شهدت الصومال مستويات كبيرة من عدم الاستقرار والضعف المؤسسي والصراع المسلح طويل الأمد منذ انهيار الدولة في عام 1991، والذي أدى إلى انتشار الفساد والمحسوبية والقبلية وتدخل القوى الغربية العظمى والفقر وتفاقم الأزمات الإنسانية. كما شهدت الصومال نموًا مستمرًا للجماعات الجهادية الإسلامية، ولاسيما حركة الشباب. على مدى السنوات الخمس عشرة الماضية، مرت الصومال بفترة انتقالية مضطربة وواجهت صعوبة في عملية إعادة بناء مؤسسات الدولة الديمقراطية. وأشار االكحلوت في سياق ذلك إلى تزامن المحاضرة العامة مع الانتخابات الرئاسية الصومالية التي طال انتظارها والتي كانت تجري في العاصمة الصومالية مقديشو.

شغل الدكتور عبد الولي غاس منصب رئيس للوزراء في الفترة ما بين يونيو 2011 إلى أكتوبر 2012، وبعد ذلك شغل منصب عضو في البرلمان، إضافة إلى أنه خبير اقتصادي وسياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو من الشخصيات البارزة التي ساهمت في توجيه الفترة الانتقالية للصومال وتمهيد طريق مستدام للسلام والاستقرار في البلاد. خلال فترة رئاسته للوزراء، صمم ونفذ خارطة طريق لإنهاء الفترة الانتقالية في الصومال. من 2014 إلى 2019، تم تعيينه رئيسًا لإحدى الدول الأعضاء الفيدرالية في الصومال، بونتلاند. الوزير السابق حاصل على ماجستير في الإدارة العامة من كلية هارفارد كينيدي ودكتوراه في الاقتصاد من جامعة جورج ميسون.

2.0. الخطاب العام للدكتورعبد الولي محمد علي غاس

بعد الملاحظات الافتتاحية للدكتور الكحلوت، بدأ الدكتور علي غاس بتحديد الخصائص الرئيسية لجغرافيا الصومال، وإبراز حجمها ووفرة الموارد الطبيعية فيها من قبيل البوكسيت والنحاس والذهب والغاز الطبيعي، النفط واليورانيوم والقصدير، والحجر الجيري، والحديد، والخام. وأكد طوال محاضرته أن هذه الميزة هي نعمة ونقمة في نفس الوقت. أرض

الصومال مناسبة أيضًا لجميع أنواع الزراعة نظرًا لموقعها الاستراتيجي بين خليج عدن والمحيط الهندي. أوضح الدكتور علي غاس أن الصومال قبل أن يتم استعمارها في القرن التاسع عشر لم تكن دولة، بل كانت بلدًا يشترك شعبها في الأصل واللغة والثقافة. وفي عام 1884 بعد عقد مؤتمر برلين التاريخي، قامت العديد من القوى الأوروبية – الاستعمارية بتقسيم إفريقيا - وهو حدث يشار إليه باسم التدافع على إفريقيا - وتم تقسيم الصومال في سياق ذلك، حتى استقلالها في عام 1960، عندما تم تشكيل أول جمهورية للصومال. إذ تم تقسيم الصومال إلى أرض الصومال الفرنسية (جيبوتي حاليًا)، وأرض الصومال البريطانية (تم التنازل عن أجزاء كبيرة منها لإثيوبيا)، وأرض الصومال الإيطالية.

ووصف الدكتور علي غاس الفترة ما بين استقلال الصومال والانقلاب العسكري عام 1969 بأنها "سنوات الديمقراطية"، حيث تمتع الناس بالعديد من الحريات المدنية، بما في ذلك الحق في محاكمة عادلة والتحرر من عمليات التفتيش غير المبررة للمنازل والممتلكات. انعكس هذا الوضع مع الانقلاب العسكري بقيادة الجنرال بري الذي حكم البلاد بقبضة من حديد لمدة 21 عامًا. وحدثت أثناءها مجموع انقلابات العسكرية في كل أنحاء إفريقيا. ومع أن الصومال كانت تحكمها دكتاتورية اشتراكية استبدادية، إلا أن إدارة الجنرال بري قد حققت بعض النجاح في سنواتها الأولى من خلال التعبئة الاجتماعية، وإضفاء الطابع الرسمي على النص الصومالي، وتنفيذ حملات محو الأمية، وتوسيع خدمات التعليم والصحة، وتطوير الطرق والبنى التحتية العامة الأخرى. مع ذلك، أكد علي غاس أن العديد من قرارات الجنرال، بما في ذلك تأميم البنوك والمزارع التجارية، أضعفت بشكل كبير المجتمع والاقتصاد الصومالي من خلال التخلص من الحوافز. وتمت الإطاحة بحكومة الجنرال بري في عام 1991 من قبل جماعات معارضة عشائرية، وانزلقت البلاد بعدها في حرب أهلية شهدت التدمير الكامل لمؤسسات الدولة والبنية التحتية العامة.

انتقل الدكتور علي غاس بعد ذلك إلى تفصيل المعالم الرئيسية للفترة الانتقالية في الصومال من الحرب الأهلية إلى السلام، بما في ذلك تشكيل أول حكومة انتقالية في عام 2000، وظهور اتحاد المحاكم الإسلامية وهزيمته النهائية على يد الحكومة الاتحادية الانتقالية في عام 2008، وعقد مؤتمر المصالحة الوطنية في جيبوتي عام 2009، والانتخابات الرئاسية الأولى في عام 2012 وفشلها في إحداث تغيير فعال، والانتخابات الرئاسية الأخيرة في عام 2017 والتي شهدت انتخاب الزعيم الشعبوي محمد عبد الله فرماجو.

واختتم الدكتور علي غاس محاضرته بتسليط الضوء على التحديات الرئيسية التالية للاستقرار والتقدم في الصومال: أولًا، توقعات المجتمع غير الواقعية لمعدل التغيير والتقدم ، حيث لا يمكن أن يحدث التغيير إلا على شكل تحسينات صغيرة تسير بخطى الحلزون، ثانيًا، كيف يؤدي استمرار الصراع إلى تدمير النسيج المجتمعي بمرور الوقت، ثالثًا، القوة الساحقة للعشائر في الدولة التي لا يمكن أن تتعايش مع نظام دولة قومية ديمقراطي، رابعًا، الافتقار إلى القيادة الجيّدة

والمؤسسات الفعّالة التي يمكنها كبح تهور القادة ، خامسًا، الخوف من نمو حركة الشباب إذا ما استمرت مشاكل الصومال دون معالجة، وسادسًا، التدخلات الخارجية التي تجعل من الصومال ساحة حرب بالوكالة.

3.0. فقرة الأسئلة والأجوبة من الجمهور

بعد الخطاب العام، استقبل الدكتور علي غاس بترحاب أسئلة من الحضور الكريم، حول مجموعة متنوعة من القضايا الهامة ذات العلاقة بالصومال.

تأثير دول مجلس التعاون الخليجي على الانتخابات الرئاسية

فيما يتعلق بتأثير دول مجلس التعاون الخليجي على الانتخابات الرئاسية الأخيرة في مقديشو، أشار رئيس الوزراء السابق إلى بروز هذه القضية بين الصوماليين اليوم، الذين غالبًا ما يناقشون الدعم الذي تقدمه الدول لمرشحين رئاسيين معينين، بما في ذلك الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وقطر. وأضاف أن دول الجوار، ومن بينها إثيوبيا، تؤثر أيضًا على الانتخابات، وهو ما اعتبره أمر خطير للغاية. أعرب الدكتور علي غاس عن أسفه حول إنفاق ملايين الدولارات على شراء الأصوات، وهي حقيقة تقف في تناقض صارخ مع فخر الصوماليين في الماضي والتزامهم بالعمل الجاد. ولأن السياسيين هم "أفضل ما يمكن أن يشتريه المال" في الصومال، فقد أكد على الحاجة إلى قيادة جيّدة وخيّرة.

تعزيز الديمقراطية في الصومال

وتلقى الدكتور علي غاس بعد ذلك سؤالًا حول الصعوبات في تبني نظام ديمقراطي والمضي قدمًا نحو السلام الشامل في الصومال، نظرًا لغلبة النظام القبلي الذي يستبعد عامة الناس من عملية صنع القرار. ورد بالتأكيد على أن تحقيق هذا التغيير هو عملية تستغرق وقتًا. وذكّر الحضور بأنه قبل فترة المصالحة واتفاقيات السلام بين الأطراف المتحاربة، كان الإفلات من العقاب هو قانون الأرض في الصومال، حيث قُتل الآلاف ولم يُحاسب المسؤولون عن جرائم القتل التي ارتكبوها، فيجب معالجة هذا أولًا حتى تنجح عملية السلام. علاوة على ذلك، قبل التحرك نحو "رجل واحد، صوت واحد"، يجب على البلاد تحقيق الاستقرار، بما في ذلك من خلال إدارة تهديد حركة الشباب إما من خلال المفاوضات أو من خلال القضاء عليها بشكل كامل. لكي تكون الديمقراطية احتمالًا واقعيًا، ويجب على الحكومة الصومالية أيضًا اعتماد التقنيات الحديثة ومعايير الإدارة العامة - مثل تسجيل الناخبين والتعدادات المنتظمة - حتى تتمكن من الوصول إلى جميع المواطنين الصوماليين. واعتبر تعزيز التربية المدنية أيضًا خطوة ضرورية في هذه العملية، وأن هذه الإجراءات يمكن أن تبدأ الآن في المناطق الآمنة في البلاد.

الاستثمارات في الموارد الطبيعية للصومال

سأل أحد الحاضرين الدكتور علي غاس عن متى يتوقع أن تتمكن الصومال من جذب المستثمرين الأجانب، فأجابه إلى أن وجود الموارد الطبيعية في بلد ما يمكن أن يكون نعمة ونقمة على حدٍ سواء، لأن الموارد التي تدار بشكلٍ سيء يمكن أن تثبط الابتكار وتعزز عدم الكفاءة. يكمن الدليل على هذا الادعاء في حقيقة أن أقل البلدان نموًا في العالم - وكثير منها في إفريقيا، بما في ذلك أنغولا وموزمبيق ونيجيريا وليبيا ذات الناتج المحلي الإجمالي المنخفض - لديها معظم الموارد الطبيعية. وأضاف الدكتور علي غاس أن بعض الدول الغنية بالموارد، مثل دول مجلس التعاون الخليجي، تمكنت من إدارة مواردها بفعالية لتحقيق مستويات كبيرة من التنمية، تمامًا كما فعلت الدول الفقيرة بالموارد، مثل هونج كونج وسنغافورة أيضًا، التي كانت قادرة على تحقيق مستويات كبيرة من التنمية من خلال إدارة الموارد الحالية والاستفادة منها بشكل استراتيجي. علاوة على ذلك، فإن الابتعاد العالمي عن الوقود الأحفوري نحو الطاقات المتجددة، مما يحتم على الصومال ألا تعتمد على النفط والغاز الصومالي فقط لمحدودية آفاقة المستقبلية. ولأجل ذلك، يجب أن تكون للصومال قيادة ومؤسسات جيدة وبعيدة النظر. ولهذه الغاية، أشار إلى مؤلفي الأوراق الفيدرالية كأمثلة على مثل هذه القيادة.

قضية جمهورية أرض الصومال أو صوماليلاند

عند الاستفسار عن الوضوح بشأن قضية أرض الصومال أو صوماليلاند وما يمكن تعلمه من هذه التجربة، قدم الدكتور علي غاس لمحة عامة عن النزاع في المنطقة. تتكون أرض الصومال من مناطق كانت في السابق تحت سيطرة بريطانيا وإيطاليا. وأضاف أنه بينما يريد بعض الأشخاص من أرض الصومال الانفصال، يفضل البعض البقاء جزءًا من الصومال. وأشار إلى أنه بدأ حوارًا مع الانفصاليين في أرض الصومال في عام 2012، وفي رأيه يجب أن تُعرض عليهم حصة في الحكومة- خاصةً أنه اقتراح يعدونه مقنع - لتجنب الانفصال.

دور جامعة الدول العربية والدول الغربية في تحقيق الاستقرار في الصومال

وحول دور جامعة الدول العربية في مساعدة الصومال، أعرب الدكتور علي غاس عن أسفه، لأنه على الرغم من تاريخ الصومال في تقديم المساعدة للدول العربية في القرن العشرين، إلا أن الدول والشعوب العربية أظهرت معاملة سيئة للصوماليين بعد انهيار الدولة في عام 1991، ومع أن الصوماليين كانوا سيختارون العيش في الدول العربية بسبب اللغة المشتركة والمحافظة الثقافية والدين، إلا أنهم وجدوا الأمان والعون في الدول الغربية. وأنهم ارتقوا إلى مراتب سياسية عالية في جميع أنحاء الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وكندا، مثل عضو الكونجرس الأمريكي إلهان عمر. على عكس الدول العربية التي عانى فيها الصوماليون من سوء المعاملة. وأشار إلى أن حالة عدم الاستقرار التي يشهدها العالم العربي اليوم يجعل دوله في وضع جيد لتقديم المساعدة للدول الأخرى، إذ يجب معالجة قضاياهم الداخلية أولاً. وأعرب أن الغرب يمكن أن يتعامل مع الصومال بطريقة أكثر إنتاجية، بما في ذلك التصدي لتهديد حركة الشباب. وأن إيطاليا، بصفتها

حاكمًا استعماريًا سابقًا للصومال، قادرة على لعب دور نشط في هذا الصدد، تمامًا كما تشارك المملكة المتحدة والولايات المتحدة بنشاط في سيراليون وليبيريا- مستعمراتهما السابقة.

علاقات الصومال مع جيرانها

استفسر أحد أعضاء الجمهور عن الكيفية التي يمكن أن تصبح بها علاقات الصومال المتوترة مع جيرانها أكثر إيجابية. فكان رد الدكتور علي غاس أن الصومال تتمتع بعلاقات ودية مع جيبوتي وهذا استثناء. في نهاية المطاف، يمكن للصوماليين فقط مساعدة أنفسهم - ولا يمكن لأي جار، عربي أو غربي، مساعدة الصوماليين. وحذّر من أن الاعتماد المستمر على صدقات ومساعدات المجتمع الدولي سيؤول إلى فقدان الصومال سيادتها، وأن المساعدات الخارجية لم تكن عنصرًا مساعدًا قط، ويجب استبدالها بالاستثمارات الأجنبية المباشرة. وأن هذا جهد تتمتع به بعض الدول العربية القادرة على قيادته.

البحث المراوغ عن القيادة الجيدة

وعند الاستفسار عن صعوبة إيجاد قيادة جيدة في الصومال وسط صعود النظام العشائري، أجاب إن دوران القيادة لا يقل أهمية عن وجود مؤسسات جيدة ومستقرة تتجاوز القادة وإداراتهم. وضرب مثال إيطاليا التي لديها 65 إدارة منذ عام 1945، موضحًا كيف أن المؤسسات - المعززة بالقيادة الجيدة - مهمة أكثر على المدى الطويل.

4.0. الرسائل الرئيسية

بشكلٍ عام، أكدت المحاضرة على أهمية إنشاء مؤسسات ديمقراطية قوية ومستقرة لتحقيق الاستقرار والتقدم الوطنيين، وأنها العملية التي يجب تقاد من قبل الصوماليين أنفسهم، وليس الدول الأجنبية أو المنظمات الدولية. كما شدّد الدكتور علي غاس على ضرورة تبني منظور طويل الأمد للمصالحة والتعافي والتنمية، على عكس التوقعات غير الواقعية للتغيير بين عشية وضحاها.